هوامش

مع ارتفاع نسبة الجفاف في البلاد، يُقبل العراقيون على زراعة أشجار السدر التي تحتاج إلى نسبة قليلة من المياه، عدا فوائدها الكثيرة وعوائدها الاقتصادية

يشهد العراق ارتفاعاً في نسبة الجفاف (اسعد نيازي/ فرانس برس)

شجرة السدر

بركة المزارعين والمواطنين العراقيين وسط الجفاف

بغداد ـ **آدم محمود**

باختصار

شجرة السدر التي تشتهر في العراق باسم النبق يلقي عليها العراقيون صفة القدسية، كونها من الأشجار التي ذُكرت في القرآن الكريم

■■■

لا يمكن إغفال قيمة العسل الذي ينتجه النحل من التغذية على السدر، ويعدّ من أفضل أنواع العسل لناحية القيمة الغذائية والخصائص العلاجية

تكتسب أشجار السدر أهمية كبيرة في العراق، ويحرص المواطنون على زراعتها في حدائق المنازل والمزارع، لامتلاكها ميزات يندر وجودها في أشجار أخرى، لا سيما قدرتها الكبيرة على النمو في الظروف البيئية الصعبة، وأبرزها الجفاف، إلى جانب فوائدها المتعددة الأخرى وعوائدها الاقتصادية. ويشجع مزارعون ومربو النحل وبيئيون على زراعة هذه الشجرة في مختلف المدن العراقية، في ظل الجفاف الذي تعاني منه البلاد، لما لهذه الشجرة من قدرة كبيرة على النمو والإنتاج بالاعتماد على كميات مياه قليلة. خلال خمسة أعوام فقط، تحولت مساحة زراعية تبلغ 100 ألف متر، هُجرت لأكثر من 11 سنة، إلى أرض منتجة وتدر ربحاً جيداً بعد زراعتها بأشجار السدر، كما يقول لـ «العربي الجديد» المهندس الزراعي نبيل راضي، المشرف على هذه المساحة الزراعية. هذه الأرض التي تقع في محافظة ديالى شرقي البلاد، كانت تزرع بمحاصيل زراعية فصلية مختلفة لعقود طويلة، لكن شح المياه وفقدان الخطط التي تحمي المنتج الزراعي المحلي من غزو مثيله المستورد أديا إلى تحولها لأرض مهجورة. ويوضح راضي أنه يشرف على عدد من المزارع التي وضع لها خطط إعادة تأهيل تماشياً مع شح المياه، لافتاً إلى أن هذه المشاريع تعتمد على زراعة أصناف من الأشجار الملائمة للبيئة الجافة وتكون ذات مردود مالي كبير، ومن بينها مزارع أشجار السدر.

شجرة السدر التي تشتهر في العراق باسم النبق يلقي عليها العراقيون صفة القدسية، كونها من الأشجار التي ذُكرت في القرآن الكريم. ويقول كريم حنظل، الذي يملك مزرعة أشجار فاكهة تضم أصنافاً عدة، من بينها أشجار السدر، إنه «يجب على من لديه مساحة من الأرض، وإن كانت حديقة منزلية، أن يزرع سدرة. يكفي أن الله ذكرها في عدة مواضع بالقرآن الكريم ومنها قوله: عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى. هذا دليل على عظمتها». يتابع حنظل في حديثه لـ «العربي الجديد» أن من أهم مميزات هذه الشجرة أنها صلبة وقوية النمو وتثمر بعد عامين من زراعتها، وتتحمل الظروف القاسية والجافة. ويؤكد حنظل الذي يصف نفسه بخبير شجرة السدر، أن هذه الشجرة تشمل أنواعاً عديدة، لافتاً إلى أن العراق يزرع أفضل هذه الأصناف. ويقول إنه فضلاً عما تنتجه الشجرة من ثمار، تحمل أوراق السدر خصائص علاجية، وتتمتع بقدرة عالية على مقاومة الآفات والأمراض، بالإضافة إلى فوائدها البيئية، وهو ما يزيد من الرغبة بزراعتها، مؤكداً أن المزارعين العراقيين لم يكونوا في السابق يولون أهمية لزراعة هذه الشجرة التي كانت غالباً ما تنبت بشكل تلقائي في المزارع. لا يمكن إغفال قيمة العسل الذي ينتجه النحل من التغذية على السدر، ويعدّ من أفضل أنواع العسل لناحية القيمة الغذائية والخصائص العلاجية، وهو ما جعل مشاريع زراعة السدر تزداد في العراق. ويقول أحد مربي النحل في العراق، عامر المندلاوي، لـ «العربي الجديد»، إن النحالين العراقيين بشكل عام على تواصل مع المزارعين وينصحون دائماً بالزراعة والتشجير، وخصوصاً أشجار السدر، لما لها من فوائد كبيرة للبلد والمجتمع بشكل عام، فضلاً عن أنها تساعد في نجاح تربية النحل.

يشير المندلاوي إلى أنه بالإضافة إلى عمله في تربية النحل، فهو شريك في بستان كبير لأشجار الفاكهة في محافظة بابل (وسط)، موضحاً أن «البستان يحتوي على أكثر من مائة شجرة سدر، ونحو ثلاثة آلاف من أشجار النخيل وفاكهة مختلفة توفر مصدر تغذية جيداً للنحل». يضيف: «اليوم، هناك وعي كبير بين المزارعين في استغلال المساحات لزراعة أنواع من الأشجار والنباتات التي تعطي أكثر من فائدة. وهذا كان وراءه تشجيع وتثقيف من متخصصين بيئيين ومهندسين زراعيين ومربي النحل، فبرزت هنا زراعة أشجار السدر». يتابع: «أصبح المزارعون يزيدون من زراعة شجرة السدر. فبالإضافة إلى ما توفره هذه الشجرة من دخل مالي من خلال بيع ثمارها مع عدم إيلائها الاهتمام الكبير، فهي شجعتهم لتكون مصدر دخل آخر من خلال تربية النحل الذي يتغذى عليها ويعتبر عسل السدر من أرقى أنواع العسل وأكثرها فائدة». وشجرة السدر ذات خصوصية لدى العراقيين، وتتواجد في الشوارع والجزرات الوسطية والحدائق العامة والمنزلية. وفي الموروث المحلي، يزيد وجودها في حديقة المنزل من البركة والرزق الإلهي. ويقول الباحث وصاحب مؤلفات تتعلق بالتراث العراقي شاكر الحديثي، لـ «العربي الجديد»: «شجرة السدر في الذاكرة الشعبية العراقية لها ارتباط بالقدسية، ولهذا تتعدد استخداماتها». يضيف: «بالعودة إلى أكثر من أربعة عقود، نجد أن كل شيء في شجرة السدر كان يستخدم في العراق، حتى نوى ثمره كانوا يحولونه إلى مسبحات للتسبيح للاعتقاد ببركة هذه الشجرة، وكانت تستخلص من أوراقها الزيوت وتغلى أوراقها أو تحرق للاستخدام في المعطرات والمنظفات والغسول والصابون وعلاجات مختلف، منها تلك الروحية». ويرى الحديثي أن «خصوصية هذه الشجرة وزيادة المعرفة وانتشار مفهوم وأثر الثقافة البيئية، دفعت العراقيين إلى زراعتها بشكل أكبر، مع الإشارة إلى فوائدها الغذائية العديدة».

تقول شمم رائد (26 عاماً) لـ «العربي الجديد» إنها تعلقت بشجرة السدر منذ أكثر من خمسة أعوام حين زرع والدها شجرتي سدر في حديقة المنزل، وأثمرتا في خلال ثلاثة أعوام وأصبحت هذه الثمار فاكهتها المفضلة. وتشير إلى «أهمية وضرورة أن ينشر الجميع ثقافة زراعة أشجار السدر لأهميتها وفوائدها العديدة، وخصوصاً وجود مخاطر كبيرة جراء التصحر والجفاف. فهذه الشجرة تنمو وتقاوم درجات الحرارة العالية والجفاف وتكتفي بكميات قليلة جداً من الماء». تضيف أن «هذه الشجرة تحافظ على تماسك التربة وتولد كميات كبيرة من الأكسجين وتخفف من درجات الحرارة، كما أن ثمارها لذيذة ويمكن استغلالها لتكون مصدر دخل».

وأخيراً

التنمّر القاتل

سعدية مفرح

هل التنمّر ظاهرةٌ جديدة، أم أن المجتمع أصبح أكثر حساسية تجاه الأمر الذي كنّا نعيشه ونحن صغار وننساه في اليوم التالي؟

أخبرتني صديقتي المعلّمة التي تعمل في التدريس منذ أكثر من 30 عاما بأنها بدأت، منذ سنوات قليلة، ترصد زيادة في حالات التنمّر بين الطالبات في المدرسة الثانوية التي تعمل فيها، وأن ما رصدته رصده معظم من تعرفهم من المعلّمين والمعلّمات المخضرمين. وعندما قلت لها إن التنمّر موجود منذ أيامنا والمصطلح هو الجديد، قالت: لا.. ما كنّا نفعله ونواجهه ونحن على مقاعد الدراسة لا يقارَن بحالات قاسية قد تؤدّي، أحياناً، في بعض الضحايا، إلى التفكير بالانتحار. وذكّرتني بحالة انتهت بطالبة إلى أن تنتحر، لأن زميلاتها كن يعايرنها بجنسية والدتها الآسيوية.

وما قالته الصديقة بأسى عن زيادة حالات التنمّر في المدرسة التي تعمل فيها في السنوات الأخيرة يعكس مشكلة خطيرة تواجهها المدارس في جميع أنحاء العالم، فعلى الرغم من أن التنمّر ليس ظاهرة جديدة، إلا أن زيادة الوعي بها وتسليط الضوء عليها قد يساهمان في انتشارها وزيادة تواترها كما يبدو. ويمكن أن يكون لتطوّر وسائل التواصل الاجتماعي والتكنولوجيا دور كبير، ففي عصر التواصل الرقمي أصبح الطلاب عرضة للتنمّر عبر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، حيث يمكن للمعتدين أن يتنمّروا على الآخرين من دون ملاحظتهم مباشرة. وكلنا نرصد كيف ينتشر التنمّر والتشهير عبر التعليقات السلبية في حسابات التواصل، ما يترك آثاراً عميقة على الطلاب المستهدفين في سنٍّ يكونون فيها عرضة للخطر المباشر. ويمكن أن تؤثر عوامل اجتماعية وثقافية في انتشار الظاهرة أكثر وأكثر. فعلى سبيل المثال، يمكن أن يؤدّي التمييز العرقي أو الديني أو الجنسي أو الاجتماعي إلى تصعيد التنمّر وتكراره في المدارس التي تفتقر لوجود بيئة مدرسية صحّية ومشجّعة، حيث يشعر الطلاب بعدم الانتماء والعزلة.

تقول صديقتي المعلّمة المخضرمة إن كل محاولاتها لمواجهة الظاهرة في المدرسة التي تعمل فيها على الأقل قوبلت بالرفض أو التجاهل، فالأمر يتطلب تعاوناً مشتركاً بين المعلمين والمدرسة وأولياء الأمور والمجتمع. ولذلك ينبغي أن يعزّز الوعي بأهمية مكافحة الظاهرة وكل ما يشجّع عليها بتوفير برامج وورش عمل تعليمية تهدف إلى تعزيز التسامح والتعاون واحترام الآخرين. ويجب تشجيع الطلاب على الإبلاغ عن حالات التنمّر وتوفير آليات آمنة وسرّية للإبلاغ، وأن يكون هناك نظام انضباطي صارم يتعامل بجدّية مع الحالات ويفرض عقوبات على المعتدين. يجب أن تكون المدارس مكاناً آمناً يوفّر الدعم العاطفي والاجتماعي للجميع، ويعمل على تعزيز الثقة بالنفس وتنمية مهارات التعامل مع الصعوبات.

تقول الصديقة: تخيّلي أن هناك طالباً جديداً ينضمّ إلى صف جديد، ويكون مهووساً بالقراءة، ويظهر اهتماماً عالياً وغير مألوف بالكتب، بالإضافة إلى المواد الدراسية، فيبدأ بعض الطلاب الآخرين في الصف بالتنمّر عليه عبر السخرية منه، بسبب اهتمامه بالدراسة والقراءة. يطلقون عليه ألقاباً مسيئة علناً أمام بقية الطلاب. يسرقون كتبه ومذكّراته ويخفونها، ما يتسبب في فقدانه المواد الدراسية والمعلومات التي يحتاجها للدروس. يستهدف عاطفياً أيضاً، بحيث يتجاهله الجميع في الفصل ويعزلونه.

> يجب أن تلتزم وسائل الإعلام ومنصّات التواصل بتعزيز السلوك الإيجابي والحوار، وعدم التهاون في مكافحة التنمّر الإلكتروني

تستمرّ الحملة على الطالب الجديد فترة طويلة، ما يؤثر على ثقته بنفسه، ويسبّب له الإحباط والاكتئاب. يشعر بالعجز في محاولته التكيّف مع البيئة المدرسية، ويعاني من صعوبة في تحقيق أدائه الأكاديمي الكامل. تقول المعلّمة إن هذه الحالة حدثت بالفعل في مدرسة تعرفها وتذكرها للتدليل على أن التنمّر قد يحدُث تجاه طالب فقط بسبب اختلافه في الاهتمامات أو المظهر أو أي سمةٍ أخرى يمكن أن تميّزه عن الآخرين حتى وإن كانت سمة إيجابية.

وتمتدّ آثار التنمّر إلى المجتمع بأكمله، إذ يؤدّي إلى تفكك العلاقات الاجتماعية وانعدام التعاطف والتسامح. وينعكس ذلك في زيادة معدّلات العنف والتوتر والتمييز. تتأثّر الأماكن العامة، مثل المدارس ومكاتب العمل والأحياء، حيث ينخفض مستوى الأمان وتنخفض جودة الحياة بشكل عام. وهو ما يؤكّد ضرورة أن تعمل المدارس على توفير بيئة آمنة وداعمة للطلاب، بتعزيز ثقافة الاحترام والتسامح. كما ينبغي تشجيع الأسر على التواصل الفعّال مع أبنائهم وتعزيز الثقة بالنفس لديهم وتعزيز قيم التسامح والمساواة. علاوة على ذلك، يجب أن تلتزم وسائل الإعلام ومنصّات التواصل الاجتماعي بتعزيز السلوك الإيجابي والحوار المثمر، وعدم التهاون في مكافحة التنمّر الإلكتروني الذي قد يؤدّي، بالفعل، في بعض الحالات، إلى الموت.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**